

[معرفة الذات في فكر وحركة الملا مصطفى البارزاني]

[إعداد الباحث: هيواء عبدالرحمن عبدالكريم جلي]

[الماجستير - العقيدة والفلسفة - المعهد الأوربي للعلوم الإنسانية بباريس - الجمهورية الفرنسية]

2019-2018 م

الملخص للدراسة:

القضية الكردية بداءت مع انهيار الخلافة العثمانية وقبيل حروب الأستعمار، ومع ظهور النزعة القومية وإيجاد الدول القطرية وأنظمة إدارية سياسية مستحدثة في بداية القرن العشرين، سار الكورد كبقية قوميات المنطقة في الحالة الجديدة، وناضل من أجل المعاملة العادلة والسيادة على أرضه التي يعيش عليها منذ آلاف السنين، دون أن يستولي على حق أحد أو يسئ إلى العلاقة الأخوية مع أحد من جيرانه.

سرعان ما تكونت الحركات الكردية التي ناضلت من أجل نيل الحقوق المشروعة، ففي بارزان قام الشيخ عبدالسلام البارزاني الثاني بحركته الأولى ضد الطورانية (العنصرية التركية)، تلتها حركة الشيخ أحمد ضد الأستعمار الأنجليزي وفي الوقت نفسه أعلن الشيخ محمود الحفيد عن حركته ودولته في منطق السليمانية، وفي تركيا قام الشيخ سعيد بيران بحركته ضد الطورانية، وقام الشيخ عبيدالله النهري بثورته ضد القاجاريين، وأستطاع القاضي محمد الإعلان عن جمهورية كوردستان في مهاباد والتي تعرضت إلى التصفية سريعاً، إلا أنها جمعياً لم تستطع تحقيق ما تصبوا إليه وتم القضاء عليها ووئدها.

وأستطاع الملا مصطفى البارزاني أن يوصل المسألة الكردية إلى مراحل متقدمة وإنجازات كبيرة، وذلك من خلال إنغماسه في الدفاع عن أمته إبتداءً مع شقيقه الأكبر الشيخ أحمد البرزاني ومن ثم مواصلته إلى نهاية السبعينات من قرن العشرين بهمة عالية وثبات راسخ وأستطاع مجابهة جميع الصعوبات والمؤامرات.

وتعرض الشعب الكردي إلى إبادات جماعية، والنفي والتنكيل، وطمس هويته ووجوده وهدم وتدمير الآلاف من قراه ومدنه، وكل هذا لأن المستعمر الأنجليزي والفرنسي لم يرضيا أعطاه حقه على أرضه مثل بقية أبناء المنطقة، وتمسك كل من أعطى أرض الكورد بالأرض وهو زاهد في مَنْ يعيش على الأرض وهو يحاول جاهداً التخلص منه بشتى الطرق والوسائل (لغويًا، عسكريًا، ثقافيًا، اقتصاديًا، اجتماعيًا).

Abstract:

The Kurdish issue began with the collapse of the Ottoman Caliphate and before the colonial wars, and with the emergence of nationalism and the creation of country states and new political administrative systems at the beginning of the twentieth century. The Kurds walked like the rest of the nationalities of the region in the new state, and fought for fair treatment and sovereignty over the land on which they have lived for thousands of years, without seizing the right of anyone or undermining the fraternal relationship with one of his neighbors.

Soon, the Kurdish movements that struggled to obtain legitimate rights were formed. In Barzan, Sheikh Abdul Salam Barzani II made his first movement against Turanism (Turkish racism), followed by Sheikh Ahmed's movement against English colonialism, and at the same time Sheikh Mahmoud Alhefeed announced his movement and his state in the region of Sulaymaniyah, In Turkey, Sheikh Saeed piran made his move against Al-Turanism, and Sheikh Obaidullah Al-Nahri launched his revolution against the Qajaris, and Judge Muhammad was able to announce the Republic of Kurdistan in Mahabad, which was quickly liquidated, but all of them were not able to achieve what they aspired to and were eliminated.

Mustafa Barzani was able to bring the Kurdish issue to advanced stages and great achievements, through his participation in defending his nation, starting with his elder brother Sheikh Ahmed Barzani, and then continuing to the end of the seventies of the twentieth century with high vigor and steadfastness and was able to confront all difficulties and conspiracies.

The Kurdish people were subjected to genocide, exile and abuse, obliteration of their identity and existence, and the demolition and destruction of thousands of their villages and cities, and all this because the English and French colonialists did not consent to give him his right to his land like the rest of the people of the region.

مصطلحات الدراسة:

القضية الكردية، الملا مصطفى البارزاني، جمهورية كردستان في مهباد، الثورة في بارزان، ثورة 11 أيلول 1961، الحكم الذاتي لكوردستان، إتفاقية الجزائر بين العراق وإيران، الانقلابات العسكرية، الدول القطرية، الحدود المصطنعة، القومية، العنصرية، حروب الاستعمار، الحرب العالمية الأولى، الحرب العالمية الثانية، المملكة العراقية، الجمهورية العراقية.

المقدمة:

تعتبر القضية الكردية من أهم القضايا العالقة التي تؤرق منطقة الشرق الأوسط والتي تركت غير محلولة منذ تفكك الدولة العثمانية إلى يومنا الحاضر، وتعرض الشعب الكردي في طريق مطالبته بالحرية والاستقلال، أسوأ ببقية شعوب المنطقة إلى شتى صنوف الإبادة والتصفية.

شهد العالم في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تغيرات جذرية وفترات عصيبة في تاريخه، تمثلت في العصبية القومية وظهور النزعة العنصرية ما لبثت أن أودت بالعالم إلى الحرب العالمية الأولى. فُتيل هذه

الفترة شهدت الخلافة العثمانية أضعف مراحلها، وكانت في طريقها إلى التفكك والاضمحلال والانحلال ولم تستطع مواجهة العصر ومتطلباته، والشعوب القابعة تحت هيمنتها وسلطتها كانت تتوق إلى يوم خلاصها، إضافة إلى النزعة القومية التركية الطورانية التي انتشرت بين الطبقة البرجوازية والمثقفة فيها والتي كانت تمثلها "جمعية الاتحاد والترقي" التي استطاعت الوصول إلى الحكم في سنة 1908.

كانت الشعوب الراضية تحت السلطة العثمانية من ترك وكورد وعرب تربطها رابطة الأخوة الدينية وتجمعها أحكام الإسلام، ولكن ما لبثت أن حلت محلها النزعة العنصرية والطورانية. حاول العرب الخلاص من السيطرة العثمانية ونجحوا في الإفلات وإقامة دولهم القطرية في جزيرة العرب وبلاد الشام وشمال إفريقيا والعراق، والكورد أسوةً ببقية شعوب المنطقة وتماشياً مع الظروف الجديدة والحالة السائدة، بحثوا عن طريق خلاصهم وحریتهم والاستقلال بذاتهم، فمالبت أن تشكلت "الحركة التحررية الكوردية" في أرجاء كوردستان كافة بعد أن شعروا مبكراً بهذا الخلل في تركيبة الدولة العثمانية، وبدأت بوادر هذا الضعف والخلل تؤثر فيهم من خلال الحالة الاجتماعية السيئة التي كانوا يعيشونها والحالة الاقتصادية المكبلة بالضرائب على رغم بساطتها والمعتمدة على الزراعة والفلاحة ورعاية المواشي، وقد رُجَّ بأبناء المنطقة والذين كانوا يشكلون القوة العاملة التي تعتمد عليها إقتصاد كوردستان في الحروب المستمرة من دون طائل.

ظهرت في كوردستان تركيا حركات عديدة منها "حركة الشيخ سعيد بيران" 1925م، إلا أنها لم يكتب لها النجاح والديمومة بسبب الرد العنيف والقاسي الذي تلقته من قبل الدولة العثمانية (الطورانية). شهدت منطقة "بارزان" في هذه الفترة حركتها الأولى بقيادة الشيخ عبد السلام الثاني البارزاني في عام 1909م، وفي هذه الأثناء وبعد أعوام قليلة دخل لاعبٌ جديدٌ قديم إلى المنطقة، تمثل في الاحتلال الإنجليزي ما أدى إلى مواصلة المقاومة والنضال في بارزان، وورث قيادتها الشيخ أحمد البارزاني بعد إعدام الشيخ عبد السلام في الموصل من قبل العثمانيين.

ظهرت بعد ذلك حركات المقاومة في أرجاء كوردستان كافة وفي منطقة "السليمانية" أعلن الشيخ محمود الحفيد حكومته في عام 1919م، التي ما لبث أن قضى عليها الاحتلال البريطاني وفي كوردستان إيران أعلن القاضي محمد عن جمهورية كوردستان في "مهاباد" والتي تعرضت إلى التصفية سريعاً.

الإشكالية:

كثرة الأحاديث حول المسألة الكوردية.. مُعتبرة إياها صنعة أجنبية ذو أبعاد استعمارية.. ساعية إلى تدمير الأمة العربية.. مهددة كيان الأمة الفارسية.. ومؤامرة على الأتراك الغزية

كانت هناك دولة إسلامية (العثمانية)، ودولة شيعية (صفوية، قاجارية وغيرهما) ولم يكن معهما شيء، وعندما قسم الانجليز المنطقة مع شريكه الفرنسي سار العرب والترك والفرس (المقصود النفوس الساعية وراء الاستعلاء) في المشروع الأحتلالي وسلموا الأمة وإرادتها للأجنبي، وقبِلوا بالمقسم وأعتبروها قسمة إلهية، وعندما أزيلت غطاء الخلافة عن الكورد، أنتقم الانجليز والفرنسي من الكورد شرَّ إنتقام وقسموا أرضهم وأعطوها بالمجان للغير وحاولوا بكل ما أتوا من قوة إبادة لغتهم وإبادة لغتهم وطريقة حياتهم من خلال الحدود المصطنعة والقوميات المستعرة ضمن هذه الحدود.

ولم يجد الكورد من العرب إلا إعتبار الكورد جزءاً من الأمة العربية عليه فأن الكورد وممتلكاتهم جزء من الخريطة العربية، وأعتبر الفرس الكورد بدواً فارسياً ولغته لهجة محلية، بينما الترك أعتبر الكورد تركاً جبلياً نسي لغته التركية

(على الأقل رسمياً وثقافياً). على الكورد إذاً أن يقبل بالسيادة واللغة العربية والفارسية والتركية، وهو يحلم عندما يتكلم عن أمة كوردية لها أرض تاريخية ولغة إلهية.

لتوضيح حقيقة ما جرى للكورد على يد الأجني والمتمثل بالأنجليزي والفرنسي، ومساندة من العرب والفرس والترك (السّاعين وراء القومية والعرق) والحاقدين على الأمة المسلمة والتي كون الكورد أقوى نقطة مركز فيها مع إنكار الذات، كان هذا البحث.

القضية:

يُعتبر الملا مصطفى البارزاني من أهم رموز الحركة التَّحرُّريَّة الكوردية والذي استطاع أن يوصل المسألة الكوردية إلى مراحل مُتقدمة وإنجازات كبيرة واستغرق نضالُه حياتَه كُلَّها حيث وجد نفسه ومنذُ نعومة أظافره بين الثورات والانتفاضات.

نحاول في هذا البحث أن نُسلط الضوء على تاريخه النضالي وحركته الدَّوَّبة في سبيل الحرية لشعبه، مُعتمدين في ذلك المنهج التاريخي التحليلي، وذلك بإرجاع الأحداث إلى وقت حدوثها والعوامل المؤثرة فيها على مختلف الأصعدة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في حينها.

الولادة والنشأة:

ولد الملا مصطفى الشيخ محمد الشيخ عبدالسلام البارزاني في منطقة بارزان في عام 1903، التي تستمد اسمها من قرية بارزان مركز "مَشِيخَة الطريقة النقشبندية الصوفية" والذي تلقى مبادئها وتعاليمها منذ سن مبكرة من قبل شقيقه الأكبر الشيخ أحمد البارزاني. وكان لهذه التَّشْيِئة الدينية أثرها العميق في شخصيته التي اتَّسمت بالصدق والصرحة وقوة العزيمة والثبات وإيمانه العميق بقضاء الله وقدره، وقد نشأ في ظلِّ أوضاع اتَّسمت بالثورات والانتفاضات المستمرة وغير المنقطعة، ووجد نفسه وهو يخوض غمار الحروب ابتداءً تحت قيادة الشيخ أحمد الذي وقف بكل حزم وقوة ضد ظلم واستبداد السلطة العثمانية التي مارست سياسات عدائية وظالمة في المنطقة من خلال فرض ضرائب كبيرة، وإبقائها تحت الجهل والتخلف وزجَّ أبنائها في الجيش العثماني لخوض معارك لا يبدو لها نهاية وهم الذين يُشكِّلون القوة والعمود الفقري للحياة الاقتصادية فيها.

وكلمة "بارزان" تعني في أصل الأقوال (بَرَز) أي العالي في اللغة الكوردية حيث تقع منطقة بارزان في مرتفعات كبيرة نسبةً إلى ما يجاورها من المناطق، تتكون عشيرة بارزان من عشائر زيباري ودولومري ومزوري وبروشي ونزاري وكردي وهركي بنجي أو ما يُعرف بالاتحاد البارزاني.

وقد نجح الشيخ عبد السلام الثاني البارزاني في توحيد هذه العشائر تحت مشيخة بارزان وقيادته، وبهذا أصبح اسم بارزاني يُطلق على جميع أفراد هذه العشائر المنضوية تحت مشيخة بارزان، وفي هذا بيان لعمق فكر الشيخ عبد السلام ونجاعة إدارته وإدراكه أن الأهداف الكبيرة والوصول إلى الحقوق المستحقة لا يمكن تحقيقها إلا بالاتحاد ووحدة الكلمة والعمل المشترك الجاد، وأيضاً يدل على ما كان يتمتع به هذه العشائر من إدراك للواقع، وضرورة العمل المشترك والانصهار في البوتقة الواحدة في سبيل تحقيق الحرية والوصول إلى الاستقلال.

بهذا أصبح الشيخ عبد السلام شيخ المشيخة إلى جانب تبوُّه زعامة وقيادة المنطقة للخلاص من الظلم الذي كان يُمارَس على أهالي المنطقة من قبل الدولة العثمانية، والتي كانت قد وصلت إلى مرحلة خطيرة في سوء الإدارة

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت القوميات والأعراق تتن تحت وطأة هذه الدولة التي وصفها القيصر الروسي بـ "الرجل المريض"، وزاد الأمر سوءاً زوال الرابطة التي كانت تربط شعوب هذه الدولة تحت مُسمى الخلافة وجميع هذه الشعوب من كُرد وعرب وتُرك وغيرهم، كانت تربطهم رابطة الإسلام وهي التي كانت تحدد ولاءاتهم غير أن تدهور حال الدولة العثمانية ونخر القومية الطورانية جسدها من خلال جمعية الاتحاد والترقي ووصولها إلى الحكم في 1908، والاعتراف بالعرق التركي واللغة التركية فقط ومسح جميع الأعراق واللغات الأخرى من قاموسها السياسي، زاد الأمر سوءاً والشرح عُمقاً، وهذه الحالة في تاريخ الدولة العثمانية كانت بمثابة الدافع الكبير والمحفز للأعراق وأصحاب اللغات الأخرى للتشبث بثوابتهم، والنضال من أجل الحرية والاستقلال وحفظ ذاتهم كُلٌّ ضمن الرقعة الجغرافية التي تخصه، باعتبار أن لا تفاضل بين الأقوام والأعراق والألوان، فهم متساوون جميعاً في الكرامة والفضل، فلا قومية أو عرق أفضل وأرقى من أخرى ولا لغة أرقى وأفضل من أخرى، ولا لون أفضل وأرقى من لونٍ آخر، فالجميع يعتز بقوميته ولغته وعرقه ولا يمكن لأحد أن يخضع للآخر باعتبار التفضيل في اللغة والقومية والعرق واللون، وهكذا سارت الأمور على مدار تاريخ البشرية، وشعر الكورد بهذه الحالة العنصرية من أعماقهم ودفعتهم إلى أن يتشبثوا بذاتهم.

يقول محمد أمين زكي: "لما زالت كلمة العثماني العامة من الوجود في تركيا وحلّت محلها كلمتا التركي والطوراني شعرتُ أنا أيضاً بطبيعة الحال- كسائر أفراد العناصر العثمانية غير التركية- شعوراً قوياً بقوميّتي المستقلة عن الترك فحملني ذلك على إظهار الشعور القوي الفياض والإحساس بالعاطفة الوطنية والقومية". وهذا ما أكدته آياته سبحانه وتعالى في محكم كتابه، إذ يقول عزّ من قائل: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (سورة الحجرات آية 13).

الخلافة العثمانية لم تكن بعيدة عن الإصابة بداء القومية والعنصرية التي انتشرت كالنار في الهشيم في أوروبا، وما الحرب العالمية الأولى التي حصدت أرواح الملايين إلا نتيجة لهذا المرض العُضال (العنصرية)، وكان سبباً في إشعال الحرب العالمية الثانية التي حصدت أرواح الملايين وأتت على الأخضر واليابس. وكانت نتيجة ثورات الشعوب المختلفة التي كانت تُكوّن الخلافة العثمانية تكوينٍ عشرات الدول القطرية، بعد أن استطاعت هذه الشعوب أن تُقارع قوى الاحتلال الأوروبي التي اقتسمت التركة العثمانية بعد ما تبين لها سوء نية المحتل الأوروبي خلافاً لما كان يدعيه من الإتيان للمساعدة وخلص شعوب المنطقة من الظلم والجور العثماني، وكانت العرب في مقدمة الشعوب الثائرة التي طالبت بحريتها واستقلالها، واستطاعت تكوين عشرات الدول القطرية وقامت بشن معارك طاحنة مع الإنجليز ضد العثمانيين في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق في سبيل تحقيق ذلك، وفي شمال إفريقيا استطاع العرب تكوين دُولهم القطرية بعد خوضهم حروباً طاحنة ضد الاستعمار الأوروبي وبذلهم الغالي والنفيس في سبيل الحرية والاستقلال.

الكورد في بارزان بقيادة الشيخ عبد السلام البارزاني سلكوا بدورهم طريق الدفاع عن الكرامة والعزة واختاروا النضال للوصول إلى الحرية والاستقلال في إدارة شؤونهم بعيداً عن الاستغلال والأبتزاز والنظر إليهم كخزّان للغذاء والجند. قام الشيخ عبد السلام البارزاني أثناء فترة ترؤسه المشيخة بإصلاحات في القرى التي تمتد إليها صلاحياته، والتي تقطنها العشائر المنضوية تحت زعامته، وشملت مختلف الجوانب الشرعية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي تهتم تلك القرى. المطلب الأول في جعل اللغة الكوردية لغة رسمية في المناطق الكوردية في ولاية الموصل من الحقوق الأساسية والبسيطة التي يجب أن يتمتع بها أي شعب أو أمة.

اللغة آية من آيات الله وعلامة تُمَيِّز أي شعب أو عرق عن الآخر. يقول عز وجل في محكم كتابه {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (سورة الروم آية 22).

فرض اللغة التركية في مناطق كردية باسم الخلافة والدين، بعيداً عن الدين وتعاليمه ويُسيء إلى الأخوة بين المسلمين الذين لاتفاضل بين ألسنتهم وألوانهم وأعراقهم، وشاءت قدرة الله وحكمته أن يختلف بنو آدم في لغاتهم وألوانهم وأعراقهم، فلا فضل لأعجمي على أعجمي ولا عربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي في الإسلام إلا بالتقوى، والتقوى مكانها في القلب حيث لاتصل إليها يد العبيد ولايُمكّنهم الاطلاع عليها. ومطلب تعيين الإداريين والموظفين في الدوائر الرسمية من الذين يُتَقَنون اللغة الكردية مطلب عادل ولا يُناقض أساساً من أسس الدولة، ولاتعليماً من تعاليم الدين، ومنطقة غالبيتها من الكورد المتكلمين بلغتهم التي جعلها الله لهم ويُعرفون بها من حقهم الطبيعي أن يتكلم بها مَنْ يُدير حياتهم اليومية العملية على بساطتها والتي تتميز بالزراعة وتربية الأغنام والمواشي، فالإدارة وُجدت لتنظيم حياة مجتمع من المجتمعات وتسيير شؤونه وحل المشكلات التي تواجه أفرادها لا أن تتحول إلى أداة لطمس آية من آيات الله، وفرض إرادات سياسية بمسميات مُختلفة على شعب من الشعوب، فها هنا يصطدم مباشرة بتعاليم القرآن الحقة التي أنزلها الله في كُتبه وأكدت عليها رُسُله، وهذه العدالة والقيم الحقة ليست مُختصة بالمسلمين وحسب بل تخص العالمين أجمعين. ومطلب تطبيق أحكام الإسلام من سلطة تدعي الخلافة وتُحكّم باسم الإسلام يُبيّن البؤس الشاسع والهوة العميقة بين دولة الخلافة التي هي مصطلح شرعي وواقع الدولة العملي.

على الرّغم من أحقية هذه المطالب وتوافقها مع الشرع وأبسط الحقوق المدنية والإنسانية وتميّزها بالمحلية واختصاصها بمنطقة محدودة، إلا أنها قُوبلت بالرفض والرد العنيف من قبل السلطة العثمانية (الطورانية) التي ما لبثت أن بعثت جيشاً جراحاً للقضاء على هذا التمرد والفئة الضّالة في نهاية العام نفسه كما كانت تظن. شنت القوة العسكرية العثمانية حرباً على بارزان دامت قرابة شهرين وتنصل كثير من رؤساء العشائر والشيوخ من عهودهم ووعودهم وحلفهم مع الشيخ عبد السلام ما أضطرّه إلى اللجوء إلى منطقة "تياري" في منطقة هكاري في كردستان تركيا عند المارشمعون الآثوري الذي آواه ووفّر له الملجأ والحماية. أثناء هذه المعركة وقع الملا مصطفى البارزاني مع والدته في الأسر وكان عمره لايتجاوز الثلاث سنوات وسُجن في الموصل. أصدرت السلطات العثمانية بعد ذلك أمراً بإلقاء القبض على الشيخ عبد السلام ووضعته مبلّغاً كبيراً لمن يمسك به، في هذه الأثناء قابل الشيخ عبد السلام برفقة سمائل آغا شكاك مندوب القيصر الروسي في تفليس بجورجيا، فوعد المندوب الروسي بدعم الكورد والوقوف إلى جانبهم في نضالهم ضد السلطة العثمانية. جرى هذا اللقاء في ظل تطورات عالمية وتشجّعات بسبب الموجه العنصرية التي بدأت تجتاح أوروبا وكانت روسيا القيصرية طرفاً فيها ضد الألمان والإمبراطورية النمساوية-الهنغارية ما لبثت أن انضمت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان، فدعمت روسيا القيصرية الكورد أملاً في إشغال العثمانيين عن دخول الحرب إلى جانب الألمان وحلفائها، ووجد الكورد في هذه الحالة ما يُهوّن هول الهجمة العثمانية عليهم وما يساعد في الوقوف بوجه هجماتها، وهذه سياسة قديمة لاتحتاج إلى إثبات وقد مُورست على مدار التاريخ البشري ولكنّ القدر كان على موعد آخر مع الشيخ عبد السلام البارزاني، ففي طريق عودته وأثناء استراحته في إحدى القرى قام رئيس القرية بأسره مع حُرّاسه أثناء النوم وسلّمهم إلى السلطات العثمانية لنيل المبلغ الذي خصّصوه ثمناً لرأسه، ثم نُقل إلى الموصل وبعد محاكمته من قبل سليمان نظيف أُصدر فيه وفي حُرّاسه حكم الإعدام ونُفذ في 14 كانون الأول 1914. تماشياً مع الأعراف السائدة تسلّم الشيخ أحمد البارزاني الشقيق الأصغر للشيخ عبد السلام قيادة المشيخة وزعامة منطقة بارزان.

في خضم الصراع مع السلطة العثمانية ظهر إلى المشهد لاعب جديد قديم فاعل على الساحة الكوردستانية والعراقية والشرق أوسطية بصورة عامة والمتمثل بالاحتلال الإنجليزي، بعد وصول قوات الاحتلال البريطاني إلى منطقة كركوك في آب 1918، وبعد تمكنها من احتلال بغداد في آذار عام 1917، تيقنت من عدم استطاعتها الوصول إلى أية حلول مع الحركة الكوردية بشتى جهاتها والمتمثلة بشيوخ الطريقة الصوفية القادرية والتي يرأسها الشيخ محمود الحفيد في منطقة السليمانية وشيوخ الطريقة النقشبندية والمرؤوسة من قبل الشيخ أحمد البارزاني في منطقة بارزان وبهدينان. بعد هذا التيقن وفشل محاولات الشراء عقد الاحتلال عزمه على مقاتلة الشعب الكوردي والحركة الكوردية في تشرين الأول 1918 والذي ظهر من خلال برقية سكرتير وزارة الهند إلى ممثل الاحتلال البريطاني في بغداد. أعلن الشيخ محمود الحفيد حكومته في السليمانية وألقى القبض على جميع الموظفين الإنجليز الذين كانوا موجودين في المنطقة وذلك بعد أن ظهر للكورد حقيقة الاحتلال البريطاني وعدم صدق الادعاءات التي أطلقها في الحرية والاستقلال والخير للشعوب التي كانت تقطن تحت السيادة العثمانية. وبعد المقاومة الشديدة التي أبدتها الشيخ محمود، زجَّ الاحتلال قواته في معركة طاحنة اشتركت فيها جميع التشكيلات القتالية في الجيش البريطاني بما فيها القوة الجوية التي كان وقعها كبيراً على قوات الشيخ. جرح الشيخ محمود في المعركة والتي سُميت بمعركة (بردة قارمان) في منطقة دَرَبَنْدي بازيان وألقي القبض عليه وحكم عليه بالإعدام ثم حُفِّفَ الحكم إلى السجن المؤبد مع النفي إلى مُستعمرات الإنجليز في الهند في نفس العام، أخذت العلاقة تسوء بين الاحتلال الإنجليزي والشيخ أحمد البارزاني خاصةً بعد أسر الشيخ محمود وكشف النوايا الخبيثة للاحتلال وزيف الشعارات التي رفعها في إرادته الحرية والاستقلال للشعوب المظلومة والمهضومة حقوقها من قبل السلطة العثمانية، ودعمه الإقطاع والإقطاعيين الذين كانوا يمتصون دماء الفلاحين والمزارعين إذ كان الإقطاع يتلقى من طرفه دعماً قوياً واعتمدت سلطات الاحتلال عليه في تقوية نفوذها وسيطرتها على منطقة بارزان وكوردستان بصورة عامة. أدى سوء الأوضاع إلى اندلاع ثورة عارمة في جميع أنحاء كوردستان ضد الاحتلال الإنجليزي، وفي هذه الأثناء تمكن البارزانيون من قتل الكولونيل بيل حاكم الموصل والكابتن سكوت حاكم العقرة في 4 تشرين الثاني 1919. وبعد عدة هجمات واعتداءات على المنطقة واحدة تلو الأخرى واستعمال العشائر المناوئة والاثوريين، وبالرغم من الخسائر الفادحة التي لحقت بالانجليز واعوانه استمر في محاولاته المستميتة لاحتلال المنطقة. وفي سنة 1932م اضطر الشيخ أحمد إلى طلب اللجوء السياسي وفتح السلطات التركية والإيرانية بهذا الموضوع فقُبِلت تركيا. قامت السلطات التركية بتسليم الشيخ أحمد البارزاني إلى السلطات العراقية في ربيع 1933، وفي هذه الأثناء رجع الملا مصطفى من ارضروم في تركيا إلى منطقة بارزان وتحصن في جبالها والتحق به المقاتلون من جديد واستفادوا من الأسلحة التي خبئوها في الكهوف والجبال قبل مغادرتهم إلى تركيا بعد عودته إلى بارزان بعث الشيخ أحمد بالملا مصطفى إلى الموصل كما كان قد وعد قبل عودته لكي يُطمئن السلطات هناك ويسود الهدوء فبقي الملا مصطفى عشرة أيام في الموصل وعاد بعد ذلك إلى بارزان. تبين فيما بعد أن الغرض وراء إقامة هذه العلاقة مع الشيخ أحمد كان جزءاً من خطة لإلقاء القبض على الشيخ أحمد والملا مصطفى معاً عن طريق الحيلة والمكر والخديعة. بقي الشيخ أحمد والملا مصطفى مع إخوانهم الباقين وعوائلهم في جنوب العراق حتى عام 1939، حيث تم نقلهم إلى مدينة آلتون كوبري ومدينة كفري، وبعد مدة وبالتحديد في عام 1940، نُقلوا إلى السليمانية. وفي 12 تموز 1943 نجح في الهروب من السليمانية بمرافقة اثنين من رفاقه وسلك طريق إيران واستطاع أن يلتقي برفاقه هناك وفي مدينة شنو اجتمع حوله ثلاثون شخصاً من رفاقه المقاتلين وتوجه الى بارزان، وبعد وصوله تجمع حوله 750 مقاتلاً في غضون أسبوعين واستطاع أن يُنظف المنطقة من المخافر التي أقامتها سلطات الاحتلال وعملاتها، وبلغ عدد المسلحين أكثر من ألفي مُسلح خلال شهرين وقامت القوات بتوجيه ضربات متتالية للقوات الحكومية وعملاتها من المرتزقة ما أجبر الحكومة إلى طلب المفاوضات فأشترط الملا مصطفى عودة الشيخ أحمد والمنفيين أولاً فوافقت الحكومة على طلبه. توصل

المُلا مصطفى إلى اتفاقية مع حكومة نوري السعيد، لم تجد هذه الاتفاقية طريقها إلى النور لأن المحتل القابع في الظلام لم يرد لها الحياة لهذا كان مصير الوزارة بأكملها السقوط في 3 حزيران 1944، وشكل حمدي الباجه جي الوزارة الجديدة بمباركة المحتل الإنجليزي ولم تُبد الوزارة التزامها بالاتفاقية على الرغم من استعادة العراق سيادته من الاحتلال البريطاني وتخلّصه صورياً من الانتداب البريطاني في سنة 1932، إلّا أن البريطانيين بقوا اللاعب الرئيس في العراق والمسيطرين الفعليين في أمور الحكم وتشكيل الوزارات حتى انقلاب عبدالكريم قاسم في تموز 1958. في هذه الأثناء أصبحت الحركة الكوردية بقيادة المُلا مصطفى ذات عمق أكبر في جميع مناطق كوردستان وخاصةً عند الفلاحين والطبقة المثقفة والتي كانت تمثلها "جمعية هيو". ظروف الحرب العالمية الثانية جعلت من كوردستان ساحة صراع وذلك لموقعها الاستراتيجي، لإطراف الحرب وبسبب الأحقاد التاريخية للبريطانيين ضد الكورد بدليل أن بريطانيا كانت تستطيع حل المشكلة بسهولة في بداية احتلالها للعراق، وخاصةً عندما قام الشيخ محمود الحفيد بتسليم القوات العثمانية التي وضعها العثمانيون تحت إمرته أثناء انسحابهم من العراق بدون قتال للقوات البريطانية واستقبل الموظفين البريطانيين في السليمانية. أيضاً وجود القوات الروسية في كوردستان إيران لعبت دوراً كبيراً وكانت كوردستان تمثل موقعا إستراتيجيا لأطراف الحرب العالمية الثانية ولكن حقد بريطانيا ضد الكورد كان دائماً حجر عثرة في إيجاد حل لمشكلتهم بشكل يرضيهم، وكان باستطاعة بريطانيا العظمى فعل ذلك ببساطة مثلما أوجدت عشرات الدول من إرث الخلافة العثمانية، كان باستطاعتها إيجاد دولة كوردية أو أكثر وبدون عناء يُذكر ولكن ولحاجة في نفسها أبت إلّا أن تجعل من الكورد أتباع أذلاءً تحت رحمة أطراف لا تعرف إلّا القوة والعنف، ولم تدخر هذه الأطراف جهداً لقتل الكورد وتشريدهم ونفيهم والاستيلاء على أرضهم ومصادرة وجودهم وأفاد السوفيت الكورد في مراحل كثيرة في جمهورية كوردستان في مهاباد وبعدها، أكثر من الأطراف الأخرى ولكن الضغوطات العالمية بعد الحرب العالمية الثانية على السوفيت من قبل البريطانيين والأمريكان أدت في النهاية إلى سحب السوفيت قواتهم من إيران، وسقطت جمهورية كوردستان تحت رحمة السياسة الأمريكية البريطانية وإن لم ترحمها قيد أنملة. بعد تنصل حكومة "الباجه جي" من الاتفاقية قررت الحركة الكوردية بقيادة المُلا مصطفى تشكيل لجنة الحرية في 15 كانون الثاني 1945 ووُضع منهج لعمل اللجنة. استؤنف الحوار بين الحركة الكوردية والحكومة ومن ورائها المحتل في 20 نيسان 1945 من دون نتائج تُذكر بسبب مواقف المحتل البريطاني وعنجهيته وتعمره الإساءة إلى القيادة الكوردية ما أدى إلى إجهاد المحاولات للوصول إلى حل سلمي وانتهى الحوار نهائياً بمقتل أحد قيادي الثورة في مخفر ميركه سور في 8 آب 1945 بمؤامرة من المحتل البريطاني وعملائه. بدأت القوة الجوية الحكومية وبمساندة القوة الجوية البريطانية في شن غاراتها على بارزان بعد 8 آب 1945، أعقبتها بعد ذلك هجمات برية شرسة وبعد جولات من معارك كبيرة وكثيرة العدد وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بالقوات المهاجمة في العدد والغدة والعتاد والأرواح، واصلت القوات المهاجمة هجماتها الجوية والبرية واستطاع المحتل البريطاني شراء بعض العشائر من أمثال السورجيه والزيبارية والزجّ بهم في ساحة المعركة وكانوا على دراية واسعة بطبيعة المنطقة الوعرة ومعتادين على القتال فيها. لم تستطع قوات الثورة الكوردية بقيادة المُلا مصطفى بإمكاناتها المتواضعة من إدامة القتال والوقوف أمام هجمة الحكومة العراقية الشرسة والحكومة البريطانية والعشائر الكوردية المنضوية تحت إمرتها وفي ظل عدم امتلاك الثورة الكوردية من الأسلحة والذخائر والمؤن مايكفيها والمصدر الوحيد لها كان ما تغتنمه منها في ساحات المعركة كل هذه الأسباب أدت إلى قرار الانسحاب إلى كوردستان إيران.

نفس لا تهدأ: الملا مصطفى البارزاني وجمهورية كردستان في مهاباد

انتهت الثورة في 11 تشرين الأول 1945، وهو تاريخ دخول الملا مصطفى ومن معه من الثوار وعوائلهم إلى داخل الأراضي الكردستانية في إيران واستقبلوا بحفاوة بالغة ووُزِعوا على القرى فسكن الشيخ أحمد في مدينة مهاباد واستقر الملا مصطفى في مدينة شنو، وفي فصل الربيع من عام 1946 قاموا بتنظيم القوات من جديد وقسموا قواتهم إلى أفواج ووزعوا أسلحة جديدة عليها وكان أمراء الأفواج يتكونون من الضباط السابقين الذين التحقوا بالثورة الكردية ومنهم ضباط الارتباط الذين عُيِّنوا من قبل نوري سعيد والمقاتلون الذين كُونوا الأفواج كانوا من البارزانيين.

22 شباط 1946 أُعلن عن قيام جمهورية كردستان في مهاباد فحضر الملا مصطفى مراسم إعلان الجمهورية، وبعد ذلك رجع إلى شنو بطلب من المسؤولين في مهاباد وبطلب من المسؤولين السوفيت لكي لا يُثير المحتل البريطاني والحكومة العميلة في الجانب الآخر من الحدود، وبعد تشكيل الأفواج وتسليحها بالأسلحة الجديدة وأصبحت جاهزة أُسْتُدعي الملا مصطفى إلى مهاباد وحُكِّم الأفواج إلى جبهة "سقز" وانظمت أكثر العشائر القاطنة في جمهورية كردستان إلى القوات المسلحة التابعة للجمهورية والتي كانت تحت قيادة الملا مصطفى الذي قام بجهود كبيرة في ضمهم إلى القوات المسلحة وتنظيمهم، فبلغ عدد مقاتلي العشائر في هذه الأثناء (8800) جندي مشاة و(1700) جندي فارس. لم يُنَّ تَبَوَّء مسؤولية حماية جمهورية كردستان الملا مصطفى عن ساحته الأصلية في كردستان العراق ولم تتوقف لجنة الحرية عن التفكير في كيفية تطوير الحركة الكردية ومسايرة متطلبات الحركة والدفاع عنها تماشياً مع الظروف المستجدة والأنظمة السياسية المستحدثة لإدارة الثورات والحركات التَّحَرُّيَّة وهذا ما أدى إلى العمل على تشكيل حزب كوردي.

عُقد اجتماع حول هذا الموضوع في 1946، بين الملا مصطفى وكل من حمزة عبدالله المحامي والنقيب مير حاج أحمد والعقيد الركن عزت عبدالعزيز والنقيب مصطفى خوشناو والنقيب خيرالله عبدالكريم والملازم محمد محمود فُدسي والملازم نوري أحمد طه وكان هذا الاجتماع بمثابة تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردي وأُتفق أن تكون كردستان العراق الساحة الأساسية والرئيسة لعمل الحزب الديمقراطي وذلك لعدم إثارة العراق وتركيا على الجمهورية الفتية وتم إيفاد حمزة عبدالله إلى كردستان العراق لإجراء المشاورات. ما لبثت أن حدثت في 29 نيسان 1946م أول مواجهة عسكرية بين الجيش الإيراني وقوات جمهورية كردستان بقيادة الملا مصطفى حيث اشتبكت قوات الفوج الأول مع الجيش في معركة قاراوا. ألحقت خسائر كبيرة بالقوات الإيرانية في هذه المعركة وقُتِل فيها ثمانون ضابطاً وجندياً إيرانياً ووقع 120 جندياً وضابطاً أسيراً في يد قوات جمهورية كردستان والغنائم كانت عبارة عن 17 رشاشة ثقيلة ومدفعين ولم تقع أية خسائر في الأرواح في قوات البارزانيين. قام رئيس الجمهورية القاضي محمد بزيارة إلى طهران والتقى بقوام السلطنة ورئيس أركان الجيش الجنرال زارامارا فاقترح قوام السلطنة على القاضي محمد توحيد جميع أراضي كردستان إيران تحت حكم حاكم عام تُعَيِّنه الحكومة في طهران وعرض عليه منصب الحاكم العام لهذا الكيان لكن ما كان من القاضي محمد إلا أن رفض هذا العرض خشيةً من السوفيت الذين أبدوا عدم موافقتهم واعتراضهم عليه، وحاولت السلطة الإيرانية بعد ذلك إخراج السوفيت وتصفية الجمهوريتين بأي ثمن كان.

سافر قوام السلطنة إلى موسكو في آب 1946م لإيجاد تفاهم مع السوفيت وعرض على ستالين اتفاقية نفط وغاز وتأسيس شركة مشتركة بين الجانبين مقابل سحب السوفيت جيشه من إيران وكان المجتمع الدولي في تلك الفترة وبضغط من بريطانيا يقوم بممارسة ضغوط كبيرة على السوفيت لسحب قواته من إيران. بعد

المستجدات وعقد الاتفاقية السوفيتية الإيرانية قام الجيش الإيراني بالهجوم على جمهورية أذربيجان استدعى الملا مصطفى قواته المرابطة في سقز وسردشت وأمر بانتقال العوائل من مهاباد وبوكان إلى مدينة نغده وأشنويه والمناطق المحيطة بهما، وتجمع العوائل والأسر هناك وانتقل الشيخ أحمد إلى آشنويه أيضا قرر الملا مصطفى اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي بعد رفض الحكومة العراقية إصدار عفو عام عنهم وإصرار الحكومة الإيرانية تصفيتهم، بعد عودة العوائل قرر الملا مصطفى ومعه 650 مقاتلاً عدم تسليم أنفسهم والمضي قُدماً نحو حدود الاتحاد السوفيتي ونصح الملا مصطفى الضباط بعدم تسليم أنفسهم ومرافقته في رحلته إلا أنهم قرروا العودة إلى العراق وألقي القبض على الضباط عزت عبد العزيز ومحمد محمود قدسي ومصطفى خوشناو وخيرالله عبد الكريم وصدر حكم الإعدام عليهم ونُفذ في 19/6/1947. وأسرى الشيخ أحمد وأخونه وعوائلهم ومن معهم.

رحلة الاتحاد السوفيتي: الرحلة الصعبة والمحفوفة بالموت من كل جانب

بدأ الملا مصطفى الرحلة الصعبة والمحفوفة بالموت والمخاطر من كل جانب، في 22 أيار 1947، تمرکزت القوات في قرى دَري وباسيا وتعرضوا إلى هجوم جوي شديد من قبل قوات الحكومة العراقية التي أرسلت 14 طائرة لقصف المنطقة ووقع بينهم قتلى وجرحى، وفي 25/5/1947، دخلوا إلى الأراضي التركية وتوجهوا إلى قرية باي ورحب بهم أهالي القرية، وللوصول إلى الحدود السوفيتية اختار الملا مصطفى دخول الأراضي التركية ثم الأراضي الإيرانية عن طريق (زينا ئاسنگرا) الواقع بين قضائي (كفة) و(شمدينان)، كان الترك على علم بتحركات الملا مصطفى فقد وطلدت كل من إيران وتركيا والعراق من علاقاتهم في سبيل القضاء عليه وعدم إفساح المجال أمامه للوصول إلى الاتحاد السوفيتي، وكانوا يراقبون تحركاته بإصرار، في هذه الأثناء أبدت الحكومة الإيرانية إصرارها الشديد في القضاء على الملا مصطفى ورفاقه وعدم إفساح المجال أمامه للدخول إلى الأراضي السوفيتية، وقامت السلطات الإيرانية بتحشيد قواتها الجوية والبرية، وأحضرت مدافعها ودباباتها وحاصرت المنطقة بإحكام، ولم يبق أمام الملا مصطفى ورفاقه إلا الالتحام بالقوة المهاجمة، وقام بتقسيم قواته إلى قسمين: قوة تحت إمرته وقوة تحت إمرة أسعد خوشفي وبدأ الهجوم في 9/6/1947، واستمر حتى 11/6/1947، وقد تمكنت قوات الملا مصطفى من إلحاق خسائر كبيرة وأضرار جسيمة بالجيش الإيراني، وتكبد هذا الأخير خسائر كبيرة في الأرواح قُدرت بمئات القتلى والجرحى وتم أسر 271 جندياً، ودُمّر عدد من الدبابات وأسقطت طائرة ودُمّرت مدفعية ميدانية وغُنمت مئات البنادق وخمسون بغلاً مُحَمَّلاً بالأرزاق والذخائر، وتم إرغام الجيش على التقهقر وسيطرت قوات الملا مصطفى على الطريق وجسر ماکو في ليلة 11/12 حزيران 1947 ووصلت القوات إلى قرية هاسون وكان موقف الأهالي غير وُدِّي ولم يُقدّموا المساعدة ويد العون لهم. أرسل الملا مصطفى أحد رفاقه وهو ميرحاج إلى مخفر سراجلو السوفيتي ليخبرهم بوصولهم وطلبه الإذن بالدخول إلى الأراضي السوفيتية عن طريق نهر آراس، الذي أصبح فيما بعد أسطورة للكورد وسمّى المئات إن لم يكن الألوف أسماءً أبنائهم بهذا الاسم وذكره الشعراء في أشعارهم والأدباء في أدبياتهم وأصبح اسماً كوردياً بامتياز، بعد حصول الموافقة عبره الشيخ سليمان مع مجموعة من المرافقين في 17/6/1947، وعبره الملا مصطفى مع بقية رفاقه في 18/6/1947. في الأراضي السوفيتية نُقل الملا مصطفى ورفاقه إلى مدينة نخجوان في جمهورية أرمينيا السوفياتية، ووُضعوا داخل مُعسكر محاط بالسياج وعليه حراسة عسكرية في ظروف معيشية سيئة، وتم نقل الملا مصطفى إلى مكان آخر داخل مدينة نخجوان، وأصيب بمرض شديد وبعد تماثله للشفاء عَلمَ رفاقه بمرضه وزار المعسكر في 12/7/1947، عادت المشاكل التي كانت تعانها جمهورية كوردستان مع المسؤولين السوفيت إلى الواجهة، مثل تفضيلهم أذربيجان على جمهورية كوردستان، على أساس أن الأخيرة تابعة للأولى مع باقرووف الذي حاول بكل جهد وتَفَانٍ جعل الحركة الكوردية التي شُكِّلت في باكو تابعةً للقيادة الأذربيجانية، ما رفضه الملا مصطفى جملةً وتفصيلاً وبشدة، وأدى هذا الموقف إلى سوء العلاقة بينه وباقرووف الذي كان على علاقة جيدة مع ستالين ووزير

الداخلية لافرينتي بيريا، ووصل الأمر إلى تهديد باقروف للمُلا مصطفى إن لم يتعاون معه ويخضع لإرادته، بعد هذه المعادة بدأت حالتهم تسوء والضغط تزداد عليهم مما دفع المُلا مصطفى إلى طلب نقله إلى جمهورية أوزبكستان، وفي أوزبكستان نُقل إلى معسكر جرجوك وُخُصصت دارٌ للمُلا مصطفى وعُيِّن معلّم لتعليمه اللغة الروسية التي تعلّمها وأجّادها تكلماً وكتابةً، وقابل كلاً من رئيس الوزراء الأوزبكي ينازوف وسكرتير الحزب الشيوعي الأوزبكي يوسفوف، لكن باقروف لم يتوقف عن المؤامرة والدسيسة من خلال علاقته الجيدة بستالين ووزير الداخلية بيريا وكُلت دسائسه بالنجاح عندما قامت السلطات السوفيتية بنفي المُلا مصطفى ورفاقه كُلّ إلى جهة بعيدة ومعزولة عن الآخر.

في سبيل الوقوف بوجه الظلم والعدوان وفي سبيل إفشال المخططات الأجنبية التي كان يُراد تحقيقها على حساب كرامة وحرية وأرواح الأبرياء والمظلومين ومهضومي حقوقهم، تحمّل المُلا مصطفى والبارزانيون الصعاب والمشقات، ووقفوا بكل حزم وجزم وقوة في وجه الاحتلال البريطاني والظلم من بني دينهم وجيرانهم ولم تُثْنِهم الهجمات الشرسة والاعتداءات السافرة واحدة تلوى الأخرى والمدججة بأحدث الأسلحة والطائرات والقنابل والدبابات ورصد ميزانيات ضخمة عن الدفاع بكل قوة وتفان وإيمان وعدم الاستسلام والإرضاخ لإرادة المحتل الظالم والطاغي، تحمّل المُلا مصطفى ورفاقه في الاتحاد السوفيتي المعاملة السيئة والنفي والإبعاد والتفرقة كل ذلك في سبيل تحقيق ذاتهم والانتصار لكرامتهم المهدورة على أيدي بني دينهم وجيرانهم والاحتلال الإنجليزي البغيض الذي يحمل حقدا وعداوة دفينّة ضدهم.

بعد التغيير الذي أعقب موت ستالين في عام 1953، قرر المُلا مصطفى الانتقال والعيش في موسكو للقاء القيادة العليا في الكرملين فهو لم يقطع الطريق الطويل وتجشم وتحمل مخاطر الطريق وصعوبات العيش في الاتحاد السوفيتي ليقضي أيامه في باكو وطشقند، توطّدت العلاقة بين المُلا مصطفى والقيادة السوفيتية في موسكو وأُستطاع أن يقيم علاقة مع نيكيتا خروشوف وُخُصّصت له دارٌ وسيارةٌ ودخل الأكاديمية السياسية، كانت هذه الفترة بمثابة فترة استراحة وأخذ نفس بعد عشرات السنين من المواجهات العسكرية المستمرة والتنقل بين جبال وأودية كوردستان بأجرائه الإيرانية والعراقية والتركية وكانت أيضاً بمثابة بعث الروح في معنوياتهم والاستعداد من جديد بالعلوم والمعارف إضافة إلى الخبرة العسكرية الطويلة التي كانوا يمتلكونها منذ نعومة أظافرهم للقادم من الأيام والتطور بالحركة الكوردية والوصول بها نحو مراحل متقدمة وعيّنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بعد ذلك السيد فولوشين مسؤول ارتباط بالمُلا مصطفى وكان من أقرباء خروشوف.

الشموخ والإباء: عودة المُلا مصطفى البارزاني إلى العراق

شهدت الأوضاع الداخلية في العراق حِدّة وشدة في الصراعات بين النظام الملكي المُنصّب من قبل الاحتلال البريطاني والواقع فعلياً تحت إمرة الوصايا البريطانية والمتمثل بالوصي عبد الإله وأعوانه وبين الأحزاب الوطنية والديمقراطية والحزب الشيوعي، بدأت الصراعات تشتد شيئاً فشيئاً والشعب العراقي كان يئن تحت الحكم الملكي والوزارات المتعاقبة التي كانت تُشكّل (اي تشكيل وزارة بعد سقوط أخرى) في عين الاحتلال البريطاني، كان يُتَوَخّى فيها الحفاظ على مصالح بريطانيا بالدرجة الأولى وما من شأنه المساعدة في إدامة سلطتها من خلال تعيين أشخاص موالين لها ومُخلصين لتحقيق مصالحها ومسايرة سياساتها ودعم الإقطاع والإقطاعيين الذين كانوا يمتصون دماء الفلاحين ويعيشون على آلامهم وأوجاعهم، وقد أدّى سوء الأوضاع إلى التفجر وقيام انتفاضة تشرين الثاني 1952، والتي كانت من أهم مطالبها من وزارة مصطفى العُمري الحريات العامة والديمقراطية في العمل السياسي وحرية تشكيل الجمعيات والنقابات الصحفية وتعديل الدستور وإلغاء صلاحيات الوصي عبد

الإله في إقالة الوزراء، وإجراء انتخابات ديمقراطية حقيقية وإطلاق سراح جميع السُجناء السياسيين، رفضت حكومة مصطفى العُمري جميع هذه المطالب ما أدى إلى اندلاع انتفاضة واسعة قادتها المنظمات الطلابية مع الأحزاب الوطنية وقُتل وجُرح فيها العشرات، خلخلت هذه الانتفاضة أركان الحكم الملكي وكانت الممهد لتكوين جبهة الاتحاد الوطني وحركة الضباط الأحرار، أما الأوضاع في كردستان فقد كانت في غاية السوء وكانت المنطقة تُعاني إنعدام أبسط الخدمات والتنمية التي كانت معدومة، والجهل والأُميّة كانا السمة الطاغية والخدمات الصحية ضربت من ضروب الخيال والطرق غير موجودة والتفرقة العنصرية كانت هي الطاغية.

كانت الدولة العراقية الحديثة تعيش أوضاعاً مُزرية، هذه الدولة التي أسسها المحتل البريطاني بعدما تكالب هو والمحتلون الآخرون على الإرث العثماني ونظروا إليه كغنيمة حرب وتصرفوا في المنطقة بما يحفظ مصالحهم ويمكنهم من نهب خيراتها ويمنع تطورها ونهضتها وتم تقسيمها في الاتفاقية المشؤومة (سايكس-بيكو) بدون أدنى اعتبار لمصالح وواقع الأمم القاطنة فيها وساعدت مُعانة الأمم القابعة تحت حكم الدولة العثمانية من خلال الاستيلاء على مُقدراتها وزج أبنائها في حروب مستمرة والتي لم يكن المستفيد الحقيقي منها إلا قلة قليلة ومناطق محددة بينما بقي قسم كبير من مناطق زاكروس والشام والعراق والحجاز وشمال إفريقيا في حالة تخلف وكانت تُعاني الجوع والحرمان، من هذا الاحتلال السافر والتقسيم البغيض إضافة إلى هذا شهدت المنطقة العربية والعالمية في هذه الفترة تطورات كان لها تأثيرها على الأوضاع داخل العراق منها القضية الفلسطينية والحركة التَّحرُّريَّة الفلسطينية والحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والغرب وحركات التمرد في أمريكا اللاتينية واتَّساع الأفكار الاشتراكية ومقاومة الهيمنة الإمبريالية الغربية البرجوازية التي كانت تسعى لاستعباد الشعوب وامتصاص خيراتها وجعلها تابعا ذليلا لها في تحقيق مصالحها ومآربها. كل هذه العوامل الداخلية والخارجية وتراكم الأخطاء التاريخية أدت إلى اندلاع ثورة 14 تموز 1958م، واستطاعت الثورة التخلص من النظام الملكي البريطاني وتصفية كل رموزه والعاملين فيه وتم طرد البريطاني من العراق كلاعب أساسي وفعلي على الساحة العراقية. بعد نجاح الثورة خرج الشيخ أحمد البارزاني وإخوانه من السجن في 21 تموز 1958، بعد أكثر من اثني عشر عاماً قضاها في غياهب السجن الملكي البريطاني لا شيء إلا لمقاومته الاحتلال البريطاني وأعوانه ودفاعه عن بني جلدته ومطالبته بتوفير حياة حرة كريمة للشعب الكوردي يحفظ فيها كرامته واستقلاليتة ووقف ضد الإذلال والاستغلال وتنفيذ المخططات الاحتلالية التوسُّعية للقوى الأجنبية والمتمثلة في بريطانيا العظمى التي لاتغيب الشمس عن مُلكها (كما قيل) وكانت عظمى على أشلاء وأرواح وكرامة الآخرين ونهب خيراتهم ومقدراتهم!

تبنت الثورة رفع المظالم التي وقعت على الكورد وعقد الكورد الأمل على الثورة في رفع الظلم وتصحيح الأوضاع المختلفة من عمل يد المحتل وإعادتها إلى صوابها والوصول بالدولة العراقية الحديثة إلى بر الأمان بعد سنوات من الحروب الطاحنة واستغلال ثروات العراق في الحروب التي لم تجلب غير الدماء والقتل والتشريد والتدمير، ويتبين حجم التفاؤل بالخير من الثورة في رسالة المُلا مصطفى التي بعث بها إلى عبدالكريم قاسم في 29 آب 1958، وهو في الجمهورية التشيكوسلوفاكية يطلب الإذن بالعودة إلى العراق وأبلغ عبدالكريم قاسم في رسالة جوابية بعثها إلى المُلا مصطفى إصدار العفو من الحكومة الجديدة عنهم وأبدى قاسم ترحيبه بعودتهم وشكره المُلا مصطفى على موافقته على عودتهم إلى أرض الوطن وذلك بعد إحدى عشرة سنة من الغربة والعيش في المهجر ومفارقة الأهل والوطن، ووصل المُلا مصطفى إلى بغداد في 6 تشرين الأول 1958، قادماً من القاهرة بعد زيارة أسْتَقْبِل فيها من قبل الرئيس جمال عبدالناصر واستُقبل في بغداد من قبل عشرات الألوف من العراقيين كورداً وعرباً وجميع أطراف الشعب العراقي في مطار المثنى مُرددين:

"بارزاني أهلاً بـك شعب العراق يُحييك".

اندلاع ثورة أيلول

لم تستقر الأوضاع للثورة ولزعيمها عبدالكريم قاسم فقد بدأ الصراع يدب في جسم الثورة، وبدأ بالظهور إلى الواقع شيئاً فشيئاً ابتداءً من إبعاد الشوّاف الذي كان واحداً من قيادات الثورة من بغداد إلى الموصل. بدأت بعد ذلك العلاقة بين الملا مصطفى وقاسم تتدهور بسبب إعطاء قاسم صلاحيات أكبر إلى بدر الدين علي محافظ أربيل وإسماعيل عباوي مدير شرطة الموصل وتسليح العشائر المناوئة للبارزانيين والذين لم يكونوا على علاقة طيبة معهم مثل العشائر الزيبارية والبرادوستية والسورجية والريكانية، من جانب آخر ظهرت دعوات من قبل العنصريين في حزب البعث العربي الاشتراكي تدعو إلى صهر القومية الكردية في القومية العربية، ردّ الحزب الديمقراطي الكردستاني في 9 تشرين الأول 1960، على هذه الدعوات في جريدته الرسمية في مقال بعنوان: "الأمة الكردية والمادة الثانية من الدستور العراقي المؤقت" وإذا نظرنا إلى محتوى المقال رأيناه يعرض الأمور على حقيقتها ويكشف عن معقولته إلى حد كبير وفي نفس الوقت وطنيته التي تميزه ويبين حجم الحالة العنصرية القومية التي وصلها القوميون البعثيون والتي وصلت إلى حد النظر إلى الذات نظرة تقديس بينما الآخرون غلمان وعبيد، وهذه النفسية والتصور ومن ثم التحرك على أساسها وبمقتضاها هي التي أحدثت الكوارث وأنشبت الحروب وتسببت في إقامة المجازر والفضائح وهذا ما حدث بالضبط في العراق على يد حزب البعث العربي الاشتراكي فلم يتوان حزب البعث عن إقامة المجازر بحق الشعب الكردي، وتلّطّخ البعث بدماء الكورد من رأسه إلى أخمص قدميه. وصلت العلاقات بين الملا مصطفى والحركة الكردية وبين قاسم إلى طريق مسدود وزادت الأوضاع الداخلية بصورة عامة الأمر سوءاً بعد أن أصبح قاسم يستبعد حلفاءه التقليديين من الوطنيين والشيوعيين، وأصبح تحت تأثير القوميون والشفوينيين من حزب البعث على الرغم من قيام البعث بمحاولة فاشلة لاغتيال قاسم في 7 أيلول 1959، وشارك في هذه المحاولة صدام حسين الذي أصيب فيها وهرب إلى سوريا هذا بالإضافة إلى دعم خصوم الملا مصطفى في أربيل والموصل وتسليح العشائر المناوئة، حاول الملا مصطفى تحسين العلاقة بينه وبين قاسم وذلك أثناء زيارته إلى موسكو حين دُعي من قبل السوفيت في 5 تشرين الثاني 1960، للمشاركة في احتفالات أكتوبر بمناسبة ذكرى نجاح الثورة البلشفية والحركة التصحيحية، واستقبل من قبل نيكيتا خروشوف وشرح له وصول العلاقة بينه وبين قاسم إلى مرحلة سيئة واحتمال تفجر الأوضاع في أي وقت. كان السوفيت قد وعدوا الملا مصطفى أثناء زيارته إلى موسكو بتقديم الدعم العسكري والمادي في حال فشل محاولة إيجاد حلول سلمية وهجوم الحكومة على كوردستان وبعد وصول المباحثات إلى طريق مسدود بدأ الملا مصطفى بتهيئة قوات البيشمركة وأخذ الاستعدادات، وكان الاتفاق مع السوفيت يقتضي بإزالة الأسلحة جواً في منطقتين: منطقة دُوله هُوري (وهي وادٍ يقع وراء جبل شيرين شمال بارزان) والمنطقة الثانية جنوب قرية سيلكي، لم يتم تنفيذ هذه الخطة وتم إرسال مبالغ مالية من قبل السوفيت لشراء الأسلحة وتولّى الحزب الديمقراطي مسؤولية شرائها مع العتاد والذخائر وتم شراء ما يناهز ثلاث آلاف قطعة سلاح ووزعت على المقاتلين الذين أخذوا يتأهبون للهجوم الحكومي على كوردستان. في 11 أيلول 1961، بدأت القوات الحكومية هجومها الجوي على مُقاتلي الثورة الكردية في (دَرْبند بازيان) و(دُولي خَلْكان)، وبدأت القوات الجوية بهجوم كبير على الطريق المسيطر عليها من قبل القوات العشائرية بين السليمانية وكركوك واستطاعت القوات الحكومية تنظيف الطريق منهم بسهولة وبدون مقاومة تُذكر وهرب قسمٌ منهم إلى إيران واختفى قسمٌ آخر في المناطق الجبلية في كوردستان، بعد هجوم السليمانية انسحبت قوات البيشمركة من أربيل إلى جبل سَفِين وفي دُهو ك التجأ المقاتلون إلى الجبال القريبة منها وذلك بعد سيطرة مؤقتة على مدينة زاخو في 16 أيلول 1961، وكان بارزان في هذه الأثناء تحت وابل نيران وقنابل القوة الجوية الحكومية.

أُعْتُبرت الهجمة الحكومية الشرسة نكسة كبيرة أصابت الحركة الكوردية في جميع جبهاتها الممتدة من زاخو إلى كركوك والسليمانية مروراً ببارزان، وأصبح الطريق مُمهّداً للهجوم البري على بارزان بعد الهجمة الشرسة التي قامت بها القوات الجوية وإحراقها للمنطقة وبعد الهدوء الذي شهدته الجبهات الأخرى ركّزت القوات الحكومية هجماتها على منطقة بارزان وأبدت قوات البيشمركة بقيادة الملا مصطفى مقاومة كبيرة في صد القوات الحكومية من التقدم. في 10/12/1961، استطاعت قوات البيشمركة السيطرة على ناحية سَرْسَنك ووادي زاويته بالقرب من مدينة دهوك وحشد الجيش قواته ونظّم صفوفه لاستعادة سَرْسَنك وفتح طريقها وبدأ فوجان من الشرطة وفوج من الجيش بالتحرك نحو وادي زاويته في 12/12/1961، وعندما وصلوا إلى منتصف الطريق وقعوا في كمين للبيشمركة وفُتحت عليهم النار من جميع الجهات ولم يستطيعوا الإفلات من الكمين المحكم وكان بمثابة مذبحه للأفواج الثلاث. كانت هذه المعركة الخط الفاصل بين انتقال الحركة الثورية الكوردية من نكسة 11 أيلول 1961، إلى انتصارات مُتتالية تُوجّه باتفاقية 11 آذار 1970، وكان صدى المعركة مدوياً على قاسم وأتباعه وبعثت روح المقاومة والنضال في الشعب الكوردي عامة والمقاتلين البيشمركة خاصة ورفعت من معنوياتهم إلى أبعد مدى واجتمعت في هذه الأثناء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني وقُرّر تبني شعار الحزب المركزي " الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان ". استطاع الملا مصطفى توسيع نفوذه ومناطق سيطرته إلى مناطق أخرى مثل بَزْوَاري شِيرِي ومزُورِي شِيرِي وأكري ومنطقة وادي النهلة الذي يقطنه المسيحيون والعشائر الزيبارية الموالية للحكومة وعلى عداوة قديمة مع البارزانيين، وتمت السيطرة على وادي بِيخْمة الذي كان يسكنه السُورجيون الذين كانوا على عداوة مع البارزانيين أيضاً، انسحب السورجيون من وادي بِيخْمة دون قتال وأصبحت منطقة بَهْدِينان بعد شهر برمتها تحت سيطرة قوات الثورة. كانت الخسائر في صفوف قوات البيشمركة في الفترة الممتدة من 11 أيلول 1961 إلى 30 نيسان 1962، 40 شهيداً و78 جريحاً وخسائر الجيش والمرزقة لنفس الفترة 1225 قتيلاً و1450 جريحاً و1326 أسيراً. بعد هذه الانتصارات وتحرير أجزاء واسعة من كوردستان انتشرت أخبار الثورة في العالم وأخذ الإعلام العالمي يهتم بأخبارها ونقل مجريات المعارك والتطورات السياسية والعسكرية وبعث عددٌ من وسائل الإعلام صُحُفِيتها ومندوبيها إلى كوردستان من أمثال دانا آدم شمدت وريتشارد أندريك وديفيد أدامسن وكريس كوجيرا لتقصي الأوضاع عن كثب.

الانقلاب البعثي والحقبة المظلمة

الانشقاق في جسد الحركة الكوردية

في 8 شباط 1963، وقع انقلاب عسكري في بغداد وكانت قيادة الانقلاب قد طلبت من قيادة الثورة عدم القيام بأية عمليات عسكرية أثناء الانقلاب وفي حالة نجاحه يجب إصدار بيان فوري من قبل الحزب الديمقراطي لتأييد الانقلاب مقابل موافقة الانقلابيين إعطاء حكم ذاتي لكوردستان. نجح الانقلابيون وقُتِل عبد الكريم قاسم ومرافقوه داخل دار الإذاعة بعد إلقاء القبض عليهم في مبنى وزارة الدفاع، وتبين فيما بعد أن الوعود التي قطعها حزب البعث لقيادة الثورة لم تكن إلا أكذوبة وخداعاً لإسكات الثورة بُغية وصول المتآمرين والانقلابيين إلى مراميهم في السيطرة على السلطة في بغداد. بعد فشل المفاوضات مع حكومة البعث هيأت قيادة الحركة الكوردية نفسها للمقاومة والدفاع في جميع أرجاء كوردستان، وعيّن في كل قاطع مسؤول القاطع والقيادة العسكرية واتخذ الملا مصطفى جبل برادوست مقراً له لموقعه الوسط ومُميّزاته العسكرية وتوجه إلى المقر الجديد في 26 نيسان 1963م، وأعلنت الحكومة عن هجومها على كوردستان في 10 حزيران 1963م، في بيان عسكري أصدره مجلس قيادة الثورة، بدأت الحكومة هجماتها بارتكاب مجزرة في السليمانية في ليلة 10/9 حزيران 1963 حيث قامت القوات الحكومية بحفر أخدود ودفن ستة وثمانين شخصاً أحياء لأنهم رفضوا

البصاق على صور للمُلا مصطفى. باءت هذه الهجمات بالفشل التام وصمدت قوات البيشمركة أمام جميع الهجمات وأجبرت قوات الحكومة على التراجع واستمرت الهجمات في مناطق أخرى في كردستان فلم تترك الحكومة موقعاً مهماً أو إستراتيجياً بيد الثورة إلا حاولت السيطرة عليه، وصل الطرفان إلى قرار وقف إطلاق النار وسحبت الحكومة قواتها من المنطقة، أسفرت هذه المعارك على منطقة بارزان عن مشكلة عميقة داخل جسم الحزب الديمقراطي الكردستاني خاصةً بين المكتب السياسي للحزب وسكرتيرها إبراهيم أحمد والمُلا مصطفى البارزاني رئيس الحزب وانشق المكتب السياسي عن الحزب الديمقراطي وذهبوا إلى إيران، وفي هذه الأثناء قام عبد السلام عارف بانقلابه على البعث في 18 تشرين الثاني 1963 وقضى عليه وأبعده عن السلطة وتخلّص من الحرس القومي ومكتب التحقيقات اللذين أقامتهما السلطة البعثية وقد قاما بجرائم بحق الجميع في العراق وبوسائل في غاية السوء والوحشية.

بعثت القيادة الجديدة رسالة إلى المُلا مصطفى فطلب منه مفاوضات بعد تأكدها من استحالة تصفية القضية الكردية عسكرياً وفهمها أن المعالجة العسكرية قد جلبت الويلات والخراب على الشعبين الكردي والعربي وأدخلت الاقتصاد في نفق مظلم وزعزعت أركان الاستقرار والهدوء، وهذا النوع من الحروب والاعتداءات المستمرة والمتوالية لم تكن المنطقة قد شهدتها منذ أمدٍ بعيد حتى في زمن العثمانيين والصفويين، لم تحدث اعتداءات وانتهاكات للكردي على هذا المستوى الذي أحرق فيه الزرع والضرع ودُمّرت فيه البيوت والقرى وشُرد وقُتل مئات الألوف لا لشيء إلا لأن المحتل البريطاني والفرنسي قالوا لهؤلاء إن أرضكم وحدودكم تنتهي هنا وهناك، وهؤلاء بدورهم لم يألوا جهداً ولم يخلدوا للسكون في سبيل سيطرتهم على ما أعطوا من قِبَل المحتل غير عابئين بحقوق الجيرة وحرمة الدم والتاريخ المشترك ساعين وراء حدود مُصطنعة وأنظمة مُستحدثة لا تخدم إلا مصالح صانعها الذي أراد إبقاء المنطقة تحت سيطرته والقضاء على أية نقاط قوّة فيها وعدم إفساح المجال أمام خلاصها وذلك كله من خلال الاستشراق الذي درس المنطقة طويلاً وكان على علم دقيق بكل صغيرة وكبيرة فيها، وتم تنظيم الحزب الديمقراطي الكردستاني من جديد في 4 تشرين الأول 1964، وتم تشكيل مجلس قيادة الثورة، بعد ذلك بعث مجلس قيادة الثورة رسالة إلى رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء وأرسلت الحكومة في 17 كانون الأول وفداً جواباً على المذكرة للتباحث حول مواضيع الخلاف وأرسل مجلس قيادة الثورة بدوره وفداً إلى بغداد في 10 كانون الثاني 1965، ولم تُؤتِ جهود هذه الوفود المتبادلة أكلها ولم تستطع الوصول إلى السلام المنشود. عاد أعضاء المكتب السياسي في 6 تموز 1965، من إيران بعد توسط أوساط مختلفة عند المُلا مصطفى لإصدار العفو عنهم والسماح لهم بالعودة وأسكن المُلا مصطفى قسماً منهم في وادي دُولَه رَفَه وانخرط قسمٌ منهم في قوات البيشمركة بينما أثر إبراهيم أحمد البقاء في طهران. لعبت إحدى شخصيات المنطقة دوراً كبيراً في تأجيج الخلافات بين المُلا مصطفى وبين جماعة المكتب السياسي وكان عباس آغا يُؤَلِّب المُلا مصطفى عليهم ويقول: إن لهم علاقة بالحكومة العراقية من جانب ومن جانب آخر كان يقول لهم: إن نوايا المُلا مصطفى تجاههم لاتنبئ بخير ونجح عباس في تهريبهم إلى المناطق التي تسيطر عليها الحكومة العراقية بسياراته الخاصة وبعدها اطمأن أن الجماعة في منطقة الحكومة قام بنشر خبر هروب الجماعة وحث البيشمركة على البحث عنهم وإعادتهم وكانت المسألة برمتها سوء فُهم.

بعد الهزائم الكبيرة التي لحقت بقوات الحكومة والمرتزة لجأت الحكومة كعادتها إلى الحوار وحل المشاكل بطريقة أخوية بعيدة عن العنف والقوة، واستخدمت هذه المرة الوفود العشائرية بُغية شراء الوقت أو تحقيق ما لم تستطع طائراتها وقنابلها تحقيقه، وصل الطرفان إلى اتفاق وإصدار بيان جاء فيه وقف إطلاق النار في 29 حزيران 1966، إلّا أن هذه الموافقة لم تشمل جماعة المكتب السياسي الذين تمادوا في اعتداءاتهم بمساعدة الحكومة وتسليحها لهم، طُبّق كثيرٌ من النقاط التي اتفق عليها الطرفان وفي هذه الأثناء قدّم عبد الرحمن البزاز

الاستقالة وشكّل العميد الركن ناجي طالب الحكومة الجديدة واستفحلت حالة جماعة المكتب السياسي بمجيء ناجي طالب إلى الوزارة الذي دَعَمهم بكل قوّة، وقام رئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف بزيارة للمُلا مصطفى في 28 تشرين الأول 1966 في المنطقة الواقعة بين بَرزِيُوهِ وِدِيَانَا لِيُبْدِي عن نواياه الحسنة في تطبيق اتفاقية 29 حزيران 1966 ونزع السلاح عن الجماعة المنشقة، ولم تسفر هذه الزيارة عن شيء يُذكر. أثناء اندلاع الحرب في عام 1967 بين الدول العربية وإسرائيل طلب كل من الشيخ شكر الدوري وشيخ عشيرة العبيد ناظم العاصي من المُلا مصطفى إيقاف القتال بين قوات البيشمركة والقوات الحكومية، وافق المُلا مصطفى على هذا الطلب وطلبوا منه قوة قوامها خمسة آلاف مقاتل تنظم إلى الجيش العراقي كُمساهمة رمزية في المشاركة في الحرب ضد إسرائيل فوافق على هذا الطلب أيضاً على أن تكون القوة بقيادة إدريس البارزاني.

أخذت الأوضاع تزداد سوءاً والعلاقات بين قيادة الثورة والحكومة تزداد تدهوراً فقد تعاضم دور المنشقين ولحق بهم أشخاص جدد وقاموا بشن هجمات على المناطق الواقعة تحت سيطرة الثورة وحدثت مناوشات واحتكاكات قتالية مع قوات البيشمركة، وكل ذلك بمساعدة الحكومة المالية والعسكرية والحكومة كعادتها لم تستفد من الدروس السابقة وما أكثرها وظلت تفكر في الحل العسكري فقط، وكانت تُصرف ميزانيات كبيرة وضخمة على شراء الأسلحة، وإعداد القوات المسلحة وشراء الذمم والجماعات. حاول الإسرائيليون والإيرانيون إقناع المُلا مصطفى وقيادة الثورة بالهجوم على منطقة سبيلك ورواندز، وأبدوا استعدادهم لتسليح البيشمركة وتقديم المساعدة اللازمة لتحقيق ذلك، ووصل ضابط إسرائيلي (دافيدي) وضابط إيراني (سرهنك بهلوان) في 21 آب 1968.

تبين لقيادة الثورة بعد دراسة الوضع أن الإيرانيين والإسرائيليين يريدون استعمال الكورد لتحقيق مآربهم الخاصة في تأديب وتخويف النظام الجديد في بغداد ولم توافق قيادة الثورة على هذا الاقتراح وبعد شهر في أواخر 1968 عادوا وعرضوا الأمر مرة أخرى إلّا أنّ المُلا مصطفى رفض الأمر جُملةً وتفصيلاً قائلاً لهم: "إن الصفقة الوقتية المتأتية من نصر كهذا لا توازي على المدى القصير الضرر اللاحق على المدى الطويل".

التحق الشيخ أحمد البارزاني بالرفيق الأعلى في 11 كانون الثاني 1969 تاركاً وراءه إرثاً كبيراً من الشموخ والإباء والنضال ضد الظلم والطغيان والوقوف بوجه المعتدين والظلمة والظلام والمحتلين ابتداءً من العثمانيين (الطورانيين) ومن ثم المحتل البريطاني وأعوانه على الرقعة الجغرافية المخطوطة بيديه والمؤسسة على عينه والذين تلوا هذه الحقبة وظنّوا واقتنعوا بأن الرقعة المرسومة حقّ إلهي صرّف قد أعطي لهم من قبل (الإنجليز) مُتناسين تعاليم دينهم وتقاليد وعادات قومهم بأن يُعطي كلّ ذي حقّ حقه ومن اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أراضي وما بالك أن يُقتل في سبيل هذا مئات الألوف من القاطنين فوق أرضهم ظلماً وعدواناً.

اتفاقية 11 آذار 1970

أبدى حزب البعث عزمه على حل المشكلة الكوردية جذرياً وقناعة الحزب بعدم جدوى القتال والعمليات العسكرية، وبعد تقصّيبهم الأحوال في كوردستان تبين لهم أن المُلا مصطفى والحزب الديمقراطي الكوردستاني الجهة الشرعية للتباحث معهما، وفاجأ صدام حسين المُلا مصطفى بزيارة إلى ناوْبَرْذَان بينما الوفد الكوردي في بغداد فاستقبله المُلا مصطفى برفقة علي عبدالله وحبيب كريم في بَرزِيُوهِ، قال صدام حسين بعد أخذ قسط من الراحة: "جئتُ لأسمع شكوى أبي إدريس (يقصد البارزاني) وليسمع هو بدوره شكواي إني جئتُ لأعقد اتفاقاً معه لأمُجِرد عقد هُدنة كما كان الشأن مع من سبقنا". وطلب صدام أن يجتمع مع المُلا مصطفى مُنفرداً

وأجرى معه حديثاً مطوّلاً دام ثلاث ساعات، عاد صدام إلى بغداد في 13 كانون الثاني 1970، وعاد الوفد الكوردي من بغداد في 18 كانون الثاني 1970 وبذلت سفارة الاتحاد السوفيتي جهوداً كبيرة لتقريب وجهات النظر بين الطرفين وكان السفير السوفيتي فيدوتوف يتابع سير المفاوضات عن كثب، في هذه الأثناء زار الشيخ بابا علي الشيخ محمود الملا مصطفى حاملاً معه رسالة من شاه إيران يطلب منه فيها عدم إبرام الاتفاقية مع حكومة البعث وأبدى استعداده أن يمد الثورة الكوردية بجميع احتياجات الثورة ويوافق على جميع مطالبه، وأخبر أن الولايات المتحدة الأمريكية على علم بهذا الأمر وموافق عليه.

وتم الاتفاق على مجيء صدام حسين في 9 آذار 1970، للمضي بالاتفاقية نحو النهاية، وصل صدام حسين في الموعد المحدد إلى رواندر وتوجه بعد ذلك إلى نوبزدان وتواصلت الاجتماعات والمباحثات حول نقاط موضوع الخلاف في الاتفاقية وفي ليلة 11/10 آذار 1970م، وقّع كلٌّ من الملا مصطفى البارزاني عن الطرف الكوردي وصدام حسين عن طرف الحكومة العراقية على الاتفاقية التي عُرفت باتفاقية 11 آذار. كان صدى الاتفاقية كبيراً ومُدوياً وفرح بها الصغير والكبير وظن الجميع أن سنوات الحرب والقتل والتدمير قد ولّت ومن غير رجعة واحتفلت جميع الأطياف والقوميات التي تسكن هذه الرقعة الجغرافية في جميع مدن العراق، ورافق ابنُ الملا مصطفى إدريس البارزاني ومسعود البارزاني صدام حسين بطلب منه أثناء عودته إلى بغداد للمشاركة في الاحتفالات التي ستقام في بغداد بهذه المناسبة، وشارك طيفٌ كبير في بغداد من شعراء وأدباء ووجهاء القوم ومسؤولين حكوميين، وطلب رئيس الجمهورية وصدام حسين أن يكون إدريس البارزاني نائباً لرئيس الجمهورية، لاقى هذا الطلب رفضاً تاماً من الملا مصطفى وشكّلت لجانٌ لتنفيذ الاتفاقية فأنجزت أمورها منها تخصيص رواتب لأسر الشهداء وتشكيل حرس الحدود وشكّلت 12 فوجاً يتألف كل فوج من 500 مقاتل، ونُزع سلاح الجماعة المنشقة. تعرّض في هذه الأثناء إدريس البارزاني إلى محاولة اغتيال في بغداد بعد أن تعرّضت سيارته إلى وابل من الرصاص لكنه لم يكن موجوداً فيها وتبعته بعد ذلك أحداث لم تكن مساعدة على تطبيق اتفاقية 11 آذار على أرض الواقع. نشبت معركة في كلكين بين قوات البيشمركة والجيش بسبب ثارات محلية بين العشائر واستمرت الحكومة العراقية عن طريق أجهزتها الأمنية في محاولاتها للتخلص من الملا مصطفى والقيادة الكوردية، وتعرض الملا مصطفى في 29 أيلول 1970، إلى محاولة اغتيال عن طريق رجال دين أتوا لزيارته وكان الوفد مؤلفاً من العالمين عبد الجبار الأعظمي سُني المذهب وعبد الحسين الدخيلي شيعي المذهب وإبراهيم الخزاعي ويُنسب أن سبب الزيارة هو رأب الصدع بين قيادة الثورة والحكومة وسيحاولون إصلاح ما يمكن إصلاحه عن طريق جهود بين العلماء والوعاظ في هذا الإطار.

رحّب الملا مصطفى بهم وفي اليوم الموعد انفجرت آلة التسجيل التي كان يحملها إبراهيم الخزاعي، وقُبيل الانفجار كان النادل يضع أقداح الشاي ويقف بين آلة التفجير وبين الملا مصطفى وكان بمثابة حاجز بين الطرفين، لم يُصب الملا مصطفى بأذى غير خدوش بسيطة وبعث حزب البعث تهانيه وأعرب عن غامر سروره بنجاته من المحاولة الإجرامية مُتوعداً الجناة والمديرين بأشد العواقب، وتعرض الملا مصطفى إلى محاولة اغتيال أخرى في 15 تموز 1972. يقول الرئيس مسعود البارزاني: إن جلال الطالباني قد ذكر له وبينما هو في بغداد للتفاوض سنة 1983: "سمع من صدام حسين أن محاولة اغتيال الوالد في 29 أيلول 1970 كانت بعلم منه وباعترافه هو نفسه وأنه أبدى أسفه لأن العملية باءت بالفشل ولم يُصَب البارزاني بسوء كما كان المأمول".

وفي هذه الأثناء شهدت العلاقات السوفيتية مع البعث تطوراً لافتاً، وأخذت تشهد تحسناً مُستمراً وعقد العراق اتفاقية مع السوفيت للعمل في حقل الرميلة النفطي في الجنوب، وسمحت الحكومة للبحرية السوفيتية

استعمال الموائى العراقية الواقعة على الخليج، وبلغت هذه التطورات ذروتها عندما وقع رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي كوسكين مع أحمد حسن البكر على معاهدة الصداقة في نيسان 1972، وطلبت موسكو من المُلّا مصطفى الانضمام والدخول في هذه المعاهدة، فطلب المُلّا مصطفى بالمقابل من المسؤولين السوفيت ضمانات مكتوبة على التزام جميع الأطراف بما تحتويه المعاهدة، ولكن لم يُبدِ السوفيت رغبة لإعطاء مثل هذه الضمانات. بعد معاهدة الصداقة البعثية السوفيتية فُتِح باب تدفق الأسلحة السوفيتية المتطورة على حكومة البعث، ونجح السوفيت في إزالة الخلافات بينه وبين الحزب الشيوعي العراقي، وبذلك انضمت قوات الحزب الشيوعي إلى صفوف البعثيين في 1974، وأُخِلت مواقعها في كوردستان.

حاولت الأنظمة المتعاقبة على الحكم في العراق ابتداءً من السلطات المنصّبة من قبل المحتل البريطاني ومروراً بالنظام الجمهوري وانتهاءً بحكم البعث، استخدام شتى الوسائل واتخاذ مختلف الطرق والأساليب لتشتيت الصف الكوردي والتغلغل إلى صفوفه بُغية خلق شرخ وانشقاق بين أبنائه، ونجحت إلى حد كبير في استمالة بعض رؤساء العشائر وشيوخ الطرق الصوفية بالإغراء بالمال والمساعدات وساعدت المشاكل التي كانت بين هذه الأطراف في هذا النجاح، بالإضافة إلى ضعف الحس القومي وعدم معرفة وإدراك عُُمق المشكلة الواقع فيها الكورد في ظل التطورات السياسية الجذرية التي شهدتها المنطقة وفي ظل مخططات دول عظمى سَخَّرت كل إمكانياتها وطاقاتها الكبيرة والضخمة في سبيل مصالحها وتحقيق خططها وإزاحة من لا ترضى عنه بأي ثمن كان.

وكان لهؤلاء المتساهلين والمتعاونين مع الجبهة المضادة للحركة الكوردية الأثر الأكبر في إضعاف الثورة الكوردية، وعدم إفساح المجال أمامها للوصول إلى الحرية والاستقلال على أراضيها، وزاد الأمر سوءاً نجاح الحكومة العراقية في استغلال المشاكل الداخلية التي كان يعانيها الحزب الديمقراطي الكوردستاني، واستطاعت استمالة جماعة المكتب السياسي إلى جانبها واستخدامها في تحقيق خططها مُخَدِّثَةً بذلك شرخاً كبيراً في جسم الحركة الكوردية المنظمة وأخّرت مسار تطورها وأعاقت مسيرتها الطبيعية ولا زالت آثارها مُمتدة إلى يومنا الحاضر.

ولم تقف الحكومة عند هذا الحد بل حاولت بإصرار وتفانٍ إيجاد موضع قدم لها داخل العائلة البارزانية وشق صفها وشراء ما يمكن شراؤه من ذمم قيادات الثورة، واستطاعت بعد اتفاقية 11 آذار من إيجاد ثغرة للنفوذ إلى داخل القيادة الكوردية والعائلة البارزانية، يقول الأستاذ مسعود البارزاني بعد اتفاقية آذار: قال لنا البارزاني: "إن هذه الاتفاقية عظيمة ولأول مرة في تاريخ الكورد يتم الاعتراف بحقوق الشعب الكوردي بهذه الصيغة المُشرفة لكنني أخشى أن يستغل النظام الظروف المستجدة للتسلل إلى صفوفنا تحقيقاً لما عجز عن تحقيقه بالقتال طوال السنين الماضية. أُلْفِتْ أنظاركم بشدة وأوصيكم بالحدّر واليقظة وعدم الانجراف وراء الإغراءات المادية". ما كان هذا التحذير إلّا عن عُُمق إدراك المُلّا مصطفى للحقد والكُره والعداوة والبغضاء التي تحملها الحكومات المتعاقبة للكورد والقضية الكوردية وكيف أنّها لا تتوانى عن سلك أي طريق أو استخدام أية وسيلة للوصول إلى مآربها.

واستطاعت الحكومة تجنيد قياداتٍ من أمثال عزيز عقراوي عضو المكتب السياسي وهاشم عقراوي عضو اللجنة المركزية للحزب، ومحافظ دهوك وفاخر ميركه سوري وانشق عُبيدالله البارزاني نجل المُلّا مصطفى وانضم إلى الحكومة العراقية، وعُيِّن وزير دولة إلى بداية الثمانينات وأعدمه البعث بعد ذلك بتهمة التكلم بسوء عن صدام حسين.

كانت جميع الأدلة والمؤشرات تشير إلى توجه العلاقة بين الثورة الكوردية وحكومة البعث نحو الانحدار والاستعداد للقتال وعُقدت جلساتٌ لتنفيذ اتفاقية 11 آذار في 1 و 16 كانون الأول 1973، بين محمد محمود

عبدالرحمن مُمثلاً عن الحركة الكردية وصدام حسين أعقبها جلسات 15 كانون الثاني 1974، وقرّرت قيادة الثورة في 15 و16 شباط 1974، عدم التنازل عن أية منطقة من مناطق كردستان للحكومة البعثية، وطلب صدام حسين إرسال أحد أبناء المُلا مصطفى لإبلاغه الموقف النهائي للحكومة باتجاه تطبيق اتفاقية 11 آذار 1970، ووافق المُلا مصطفى على إيفاد إدريس البارزاني إلى بغداد في 7 آذار 1974. بعد عودة الوفد من بغداد اجتمعت القيادة الكردية وتباحثت في الموضوع وتوصلت إلى قرار يرفض فيه التنازل عن أية منطقة من مناطق كردستان وقال المُلا مصطفى قوله المشهور: "الله شاهد على أنني أكره القتال فالقتال أسوأ السبل لمعالجة الأمور إلا أن البعث لم يترك لنا سبيلاً آخر وليس في معنى اقتراحهم إلاّ النزول لهم عن كركوك والمناطق الأخرى وهو من المحال. ألا فلنستقبل المصير إن قُدّر لنا أن نهلك جميعاً فأنا أكره أن يأتي الكورد ليبصقوا على قبري قائلين: "لماذا بعت كركوك"؟.

مضت الحكومة في مخططاتها على الضد من إرادة الشعب الكوردي ومصالحه وكيانه وكرامته، وأرادت أن تستغل اتفاقية 11 آذار وتطويعها لتحقيق مآربها وترسيخ اعتدائها على الشعب الكوردي من خلال الإعلان عن حكم ذاتي مُزيّف في ليلة 12/11 آذار 1974. سارعت قيادة الثورة الكردية إلى الإعلان عن رفضها للاتفاقية بهذه الصيغة، وأعلن عن شعار جديد للثورة الكردية "الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكوردستان" عوضاً عن الشعار القديم. التحقت جزاء هذه الأحداث قطاعات واسعة من الشعب الكوردي في المدن والقرى بالثورة الكردية في أماكن تواجدتها حتى باتت المدن شبه فارغة.

أصدر الحزب الديمقراطي الكوردستاني بياناً مطولاً في 13 آذار 1974، يشرح فيه الأحداث التي حدثت ويعرض فيه موقف القيادة الكردية على الرأي العام الكوردستاني والعراقي والدولي، وبدأت المعارك في صيف 1974م، بالهجوم على رواندز تلتها هجمات على مناطق سبيلك وتم قصف جامعة السليمانية في قلعة دزة، فأدى القصف إلى استشهاد 123 طالب جامعي وجرح 400 آخرين، وتعرضت حَلَبْجَة بعد ذلك إلى هجوم جوي واسع أُستشهد 75 مواطناً فيه، واشتدت المعارك في جبهة رواندز وكانت الحكومة عازمة على السيطرة على مناطق بالك حيث مقر قيادة الثورة وجميع مؤسساتها، وفي هذه الأثناء تدخلت إيران وأرسلت قوات للمساعدة واستبسلت قوات البشمركة في الدفاع ومواجهة العدو واستطاعت الوقوف بوجه الجيش وقواته الكبيرة عدداً وعُدّة: "وصرح قادة النظام فيما بعد أن الجيش العراقي تكبّد ستين ألف إصابة ولم يبقَ لديه سوى بضعة قنابل"، وعلى الرغم من اشتراك الطيارين الروس في الهجمات الجوية وتواجد الخبراء الألمان من المانيا الشرقية ومن تشيكوسلوفاكيا في الجيش العراقي إلّا أنها لم تستطع من إحراز تقدم إستراتيجي يُذكر.

المؤامرة واتفاقية الجزائر المشؤومة

كان موضوع شَطّ العرب من المواضيع الخلافية والشائكة بين العراق وإيران منذ تقسيم المنطقة ووضع الحدود المصطنعة من قبل المحتل البريطاني، وورثت الحكومات العراقية المتعاقبة هذه المشكلة الحدودية مع إيران، وكان صدام قد هدّد من قبل أثناء المباحثات مع إدريس البارزاني أن البعث سيتنازل عن شط العرب للإيرانيين في حال عدم رضوخ الثورة الكردية للمطالب البعثية بُغية إيقاف المساعدات التي تتلقاها الثورة الكردية من نظام شاه إيران ومن ورائها أميركا، وصرّح صدام قائلاً: "حينئذ ستدفعون الثمن غالياً" ووفّي صدام بوعده وعقد اتفاقية الجزائر المشؤومة والسيئة الصيت، وانتقم من الكورد شر انتقام وقتل مئات الألوف من الشيوخ والنساء والأطفال والشباب، وسوّى الألوف من القرى بالأرض واستعمل السلاح الكيميائي وجميع أنواع الأسلحة المرخصة والمحرمة في مجازره ضد الكورد.

بدأت المباحثات بين الحكومة البعثية ونظام الشاه الإيراني، وتقارير استخبارية من جهاز البازاستن التابع للثورة الكوردية ذكرت أن لإسرائيل دوراً في هذه المباحثات: "فقد أكدت الدوائر الإسرائيلية في حينه أن الشاه لن يخون الثورة الكوردية"، وبدأت الأطراف المختلفة التي كانت قد وعدتها بالمساعدات والوقوف إلى جانبها بالتنصل من وعودها وبدأت ملامح لعبة خبيثة ومؤامرة دنيئة تتكشف بين أطراف الصراع كافة ابتداءً من الإيرانيين والأمريكان الذين وعدوا الثورة من خلال وزير الخارجية كسينجر بعدم التخلي عن الثورة الكوردية، والإسرائيليين الذين وعدوا القيادة الكوردية بعدم التخلي عنها حتى إذا تخلى الجميع عن الكورد، ووعدوا بإنزال المساعدات العسكرية والضرورية من الجو في مناطق مُحَدَّدة وحددت هذه المناطق أيضاً في سهل قسري وسهل هيرت، ومن جانب آخر تخلت القيادة السوفيتية كلياً عن قيادة الثورة، ليس هذا فحسب بل ألقت بكل ثقلها إلى جانب حكومة البعث وأمدتها بأحدث أسلحتها وبعثت بطياريتها وخبرائها إلى الجيش العراقي، والمجازر الكبيرة التي ارتكبت بحق الكورد كانت في غالبيتها بأسلحة روسية. في هذه الأثناء حاولت قيادة الثورة كل ما في وسعها لإيقاف المؤامرة الدنيئة والكبيرة، التي شاركت فيها الدول العظمى من السوفيت والأمريكان وعملائهم الصغار من البعثيين والإيرانيين، وطبعاً لعب الإسرائيليون دورهم الكبير في هذه اللعبة التي لا تُعرف لحد الآن بالتحديد حدوده ومدى تغلغلهم فيها. بعث الملا مصطفى محمد محمود عبدالرحمن إلى القاهرة في شباط 1975، مُحَمَّلاً بإياه رسالة إلى الرئيس المصري جاء فيها: "إننا نودُّ أن تقوموا أنتم العرب بالتدخل لحل المشكلة بيننا وبين العراق ولا أحد غيركم" ووعد السادات أن يبذل ما في وسعه، وبعث الملا مصطفى رسالة إلى كسينجر طالباً منه وفاء الولايات المتحدة بوعودها التي قطعتها للثورة الكوردية، وسافر الملا مصطفى إلى طهران لمقابلة الشاه في 26 نيسان 1975م، استجابةً لدعوة وردت إليه من طرفه، وأعلن الشاه عن اتفاقية الجزائر في 6 آذار 1975، التي أدت لاحقاً إلى إدخال العراق وإيران في حربٍ طاحنة مُدمِّرة.

وفي 11 آذار 1975 استقبل الشاه الملا مصطفى وقال له: "إني اضطررت إلى عقد هذا الاتفاق ولو لم أفعل لتورطت في قتال واسع النطاق مع البعثيين العراقيين فيه سيرمي السوفيت بكل ثقلهم. ثم إنَّ الاتفاق من الناحية الأخرى في مصلحة الشعب الإيراني تماماً كما وجدتم من مصلحتكم أن تعقدوا اتفاق الحادي عشر من آذار 1970. إنَّ لديكم مهلة حتى نهاية شهر آذار حيث ستكون الحدود مفتوحة أمام كل من يريد اللجوء إلى إيران والحرية مضمونة لكل من يريد أن يبقى وبعد تمام المهلة سنغلق الحدود". غادر الملا مصطفى طهران ووصل إلى كوردستان في 12 آذار 1975، وبدأت الخيارات أمام الملا مصطفى ضئيلة بعد أن تخلى عنه الجميع وبعد أن استطاعت القوى الخفية التي تقف وراء اللعبة الكبيرة من تثبيت دعائم خططها وتمثلت في السيطرة على حزب البعث كلياً عن طريق السوفيت وبالتالي السيطرة على العراق، وإخماد الثورة الكوردية والمتمثلة بشخصية الملا مصطفى الذي أبى العمالة والرضوخ لجميع الأطراف (وتبين لهم هذا جلياً أثناء المعاملة معه)، وإبقاء القضية الكوردية بؤرة صراع لاستخدامها متى اقتضت الحاجة، وتصفية نظام الشاه بعد حين لمجئ لاعبين جُدد أكثر لياقة ولباقة للمضي في الخطط المرسومة، ألا وهي إدخال العراق وإيران في حرب طاحنة ومدمرة لمدة ثمان سنوات عجاف هلك فيها الزرع والضرع، والتي أدت لاحقاً إلى حرب الخليج الثانية بسبب الأزمة الاقتصادية القاتلة التي خلقتها، ودخول المنطقة برمتها في المجهول (بالنسبة لشعوبها) إلى يومنا الحاضر.

روح متصاعدة متسامية

كل نفس ذائقة الموت

بدأ الملا مصطفى يشكو من مرض أَلَمَّ به في عام 1975، وبعد انتقاله إلى طهران بطلب من الشاه وبمرافقة إدريس البارزاني بدأ مرضه يشتد شيئاً فشيئاً ورفض جميع المحاولات لعرض حالته على الأطباء الإيرانيين ما اضطره إلى طلب السماح بنقله إلى الخارج للعلاج، رفض الأمريكيان إعطاءه الإذن بالسفر إلى أوروبا خشية من وسائل الإعلام العالمية وفضح اتفاقية الجزائر ودور الأطراف المتآمرة فيها، ثم وافقت الولايات المتحدة بعد ذلك على السفر إلى الولايات المتحدة تحديداً لا إلى غيرها من الدول الأوروبية، على الرغم من كُره الملا مصطفى لذلك: "وفي بداية أيلول 1975 رتب أمر سفره إلى الولايات المتحدة باتفاق على التفاصيل بين السافاك وجهاز المخابرات المركزية الأمريكية شريطة أن لا يقابل صحفياً أو يطلب مقابلة أي مسؤول في الإدارة الأمريكية"، وافق الملا مصطفى على أمر سفره إلى الولايات المتحدة ورافقه علي خليل خوشفي وشفيق قزاز وضابط في السافاك الإيراني جمشيد أمانى، وبعد وصوله إلى الولايات المتحدة أخذ مباشرة إلى عيادة مايو كلينيك في مدينة روجستر في ولاية مينيسوتا وأظهرت الفحوصات إصابته بورم سرطاني في الرئة وفي مراحل متقدمة لا تترك أملاً بشفاؤه.

بعد مدة ليست بطويلة شهدت إيران تظاهرات عارمة في جميع أرجاء البلاد وكان المتظاهرون يطالبون بالقضاء على الشاه ونظامه، وتكاثرت المظاهرات بالنجاح في 16 أكتوبر 1979، بعدما أرغم الشاه على مغادرة إيران مطروداً للمرة الثانية وبغير رجعة، وتوفي في القاهرة في 27/1/1980، بمستشفى القوات المسلحة في المعادي بعد صراع مع سرطان الغدد اللمفاوية، وقامت كواد وأعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني بدعم الثورة في إيران من خلال تدريب الثوار على استخدام الأسلحة حيثما اقتضت الحاجة.

عادت حالة الملا مصطفى للسوء من جديد وانتشر المرض في أماكن أخرى من جسمه وأبلغ الدكتور ماكفرسن بأن الطب عاجز عن علاج حالته وأوصى الملا مصطفى: "أن تكون رقدته الأبدية في تراب بارزان وإن لم يكن ذلك ممكناً فليُدفن في (شنو) إلى جانب ضريح أخيه الشيخ بابو وقد أدركت البارزاني الوفاة في ظروف عصيبة"، وأسلم روحه الطاهرة في 1 آذار 1979 في أميركا. وفي هذه الأثناء شهدت الثورة في إيران عُنفوانها وكانت في أوج قوتها، وشاءت قدرة الله أن يرى الملا مصطفى بأَم عينيه قبل التحاقه بالرفيق الأعلى مصير الشاه محمد رضا بهلوي المأساوي الذي كان وراء قسم كبير من انتكاسة الثورة الكوردية، ولم تستطع أو لم تُرد حليفته الولايات المتحدة عمَل شيء له ولم تستطع أو لم تُرد إيوائه طويلاً وقامت بطرده بدورها والتجأ إلى مصر ودفن فيها.

كانت إيران بعد الثورة تشهد فوضى عارمة لا يُعرف لها قرار، وقام السيد هاني الحسن سفير فلسطين لدى السلطة الجديدة في طهران، وكان على علاقة جيدة بالثورة الكوردية بتسهيل عودة جثمان الملا مصطفى إلى طهران، ووصل إليها فعلاً في 4 آذار 1979، وكان في إستقباله جماهير غفيرة من جميع أرجاء كوردستان وخصصت الحكومة الإيرانية مروحيتين لنقله إلى مدينة شنو فدفن في مقبرتها بالقرب من مرقد الشيخ بابو.

وبعد تحرير قسم كبير من مناطق كوردستان من الطغمة البعثية في عام 1991، ومن ضمنه بارزان ارتأت العائلة البارزانية وبناءً على وصية الملا مصطفى إرجاع جثمانه الطاهر إلى بارزان حيث وُوري جثمانه الطاهر في خريف 1993 وكان في استقباله مئات الألوف من أبناء كوردستان مُصطفين على جوانب الطرقات ابتداءً من شنو وصولاً إلى بارزان.

المصادر

القرآن الكريم

البارزاني، مسعود، البارزاني والحركة التحرري الكردية، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان، كاوا للثقافة الكردية، 1997.

البارزاني، مسعود، البارزاني والحركة التحررية الكردية، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان، كاوا للثقافة الكردية، 1997.

البارزاني، مسعود، البارزاني والحركة التحررية الكوردية، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مطبعة وزارة التربية-أربيل، 2006.

زكي، محمد أمين، خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، الطبعة الثانية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 2005.

جياووك، معروف، مأساة بارزان المظلومة، الطبعة الثانية، أربيل، دار آراس للطباعة والنشر، 2001.

أدموندز، سي جي، كورد وتورك وعرب، الطبعة الأولى، أربيل، دار آراس للطباعة والنشر، 2012.

لال نهرو، جواهر، لمحات من تأريخ العالم، طبعة جديدة ومنقحة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1997.